فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ١٥ —

ذوو الشعر الاشقر

ذهبت يوماً من خريف السنة الماضية لزيارة صديقي شرلوك هولمز ولما دخلت وجدتهُ في حديث ذي بال مع رجلٍ ضخم الجسم طلق الوجه متقدم في السن ولهُ شعر اشقر ضارب الى الحمرة . فرجعت الى الورآء معتذراً عن دخولي الفجآئي غير ان صديقي تقدم فاخذ بيدي وادخلني ثم اقفل الباب وقال قد جئت ايها العزيز في احسن الاوقات . قلت ولكني اراك مشغولاً فانتظرك في الغرفة الثانية . قال لا ثم نظر الى ضيفهِ وقال يا مستر ولسن ان هذا القادم الكريم هو شريكي ومساعدي في اهم حوادثي ولا اشك انهُ سينفعنا جدًّا في حالتنا الحاضرة . فحياني الرجل ولما جلسنا قال لي شرلوك انني اعلم ايها العزيز وطسن ميلك الى مشاطرتي الكشف عن الحوادث الغريبة وقد زارني اليوم المستر ولسن وذكر لي قصةً لا اشك انها في معظم الاهمية اذ لا يخفى ان الاسرار الجنآئية الكبرى لا تكون دائماً متعلقة بالجرم الفظيع بل هي اكثر منها في الحوادث التي يرى ظاهرها بسيطاً . والذي قصهُ عليَّ حتى الآن غير كافٍ لاستنتج منهُ ما اريد بل لعلي احصل على ذلك عند تتمة الحديث ولذلك ارجو المستر ولسن ان يعيد قصتهُ من بدآءتها لتسمعها معي وليكون في اعادتها ما استفيدهُ من الدقائق التي ربما لم انتبه اليها اولاً

فحنى الزائر رأسهُ ثم نفخ صدرهُ اعجاباً وتناول من جيبهِ جريدة قذرة ممزقة

---

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واكبّ عليها وهو يبحث عن شيء مسطور فيها تحت عنوان الاعلانات . واغتنمت الفرصة لتأمل هيئة الرجل لعلي استنتج شيئاً من حالتهِ كما كان يفعل صديقي فتبين لي انهُ تاجر دقيق في العمل ولباسهُ من النسيج الانكليزي الصفيق الذي يحتمل العمل ولا يظهر عليهِ الوسخ وعلى صدرتهِ سلسلة ذهبية معلق في وسطها قطعة معدن . وكان قد القى قبعتهُ العالية وسترتهُ السوداء الى جانبهِ فلم ارَ فيهِ شيئاً غريباً سوى لمعان شعرهِ الاشقر واحمرار لونهِ . وكان شرلوك في هذه الفترة قد نظر اليّ فقرأ فكري فتبسم وقال انني نظيرك يا وطسن لم احصل على معرفة كبيرة من زائرنا ولم افهم من نظري اليهِ سوى انهُ كان يعمل بيديهِ وانهُ يتنشق السعوط وانهُ من جمعية الماسون وقد قضى زماناً في الصين وكان يكتب كثيراً في المدة الاخيرة . وكان الرجل قد وجد ما يطلبهُ في الجريدة فوضع سبابتهُ على الاسطر ثم نظر الى صديقي نظرة الدهش والاستغراب وقال قل لي بربك كيف عرفت هذه الامور فانني حقيقةً كنت اعمل بيديّ حين كنت نجاراً على ظهر احدى البواخر . فقال شرلوك لا عجب فيما عرفتهُ بنظري فان يدك اليمنى اضخم من اليسرى وما ذلك الا لعملك بها حتى نمت عضلاتها اكثر من الاخرى . واما السعوط فقد دلني عليهِ ما بقي منهُ في زوايا انفك كما دلتني علامة الزاوية والبركار التي في عقدة عنقك انك من الجمعية الماسونية . ثم رأيت كمّك الايمن لامعاً على علو خمسة قراريط من احتكاكهِ بالمائدة وقت الكتابة ومرفق ثوبك الايسر يكاد يتمزق من وضعهِ على المائدة ايضاً . وافادني رسم السمكة الموشوم على معصمك الايسر انك زرت الصين لان هذا الوشم لا يعمل بهذه الالوان في محل آخر وحققت لي ذلك هذه القطعة من النقود الصينية المعلقة في سلسلة ساعتك

فتبسم المستر ولسن وقال حقًّا ان هذا في غاية الوضوح وليس كما ظننتهُ اولاً من خوارق الطبيعة . فقال شرلوك انني اضيع كثيراً من اهمية عملي بايضاحهِ ومن الواجب ان نقتدي بالمثل اللاتيني القائل كلما حفظت سرك زادت منزلتك رفعةً . ولكن ما لنا ولهذا فهل وجدت الاعلان . قال نعم وجدتهُ وها هو ثم دفع اليّ

الجريدة فقرأت فيها ما يأتي

« الى محالفة ذوي الشعر الاشقر — انهُ بسبب وفاة المرحوم حزقيال هو بكنس من بنسلفانيا قد فرغ محل آخر في هذه الجمعية والعضو الذي يشغل هـذا الفراغ يعين لهُ راتب اربع ليرات في الاسبوع ولا يطلب منهُ عمل البتة ولا شرط الا ان يكون اشقر الشعر صحيح الجسم والعقل وقد بلغ الحادية والعشرين من عمرهِ . وعلى الطالب ان يقدم نفسهُ شخصيًّا يوم الاثنين القادم في الساعة الحادية عشرة في ادارة الجمعية بشارع فليت رقم ٧ »

وما انتهيت من تلاوة هذا الاعلان الغريب حتى صحت بدهشة ما عسى ان يكون معنى هذا الاعلان . اما شرلوك فتبسم وطلب مني اخذ رقم ذلك العدد من الجريدة وتاريخهِ فنعلت ثم التفت الى ولسن وقال هات حديثك الآن يا صاح . فقال الرجل انني تاجر صغير وقد تقهقرت تجارتي في المدة الاخيرة وكان عندي جملة مساعدين فتركوني الا واحداً منهم يدعى سبولدن فانهُ رضي ان يخدمني باقل اجرة وقد بقي عندي مع خادمة تعمل الطعام وتنظف المحل لانني ارمل وليس عندي من يعتني بي . فلما كنت في احد الايام جآء سبولدن المذكور وفي يدهِ هذه الجريدة وهو يقول آه يا ليتني اشقر الشعر . فقلت لهُ ولماذا . قال لانهُ يوجد فراغ في جمعية ذوي الشعر الاشقر وفي هذه الجمعية دخلٌ ينالهُ الاعضآء على اتمّ الراحة فلو كان في امكاني تغيير لون شعري لكنت اضمن لنفسي مستقبلاً سعيداً . ولم اكن قد سمعت شيئاً عن هذه الجمعية فشغل امرها فكري واخذت الجريدة فقرأت الاعلان وفهمت من خادمي سبولدن ان في حوزة هذه الجمعية اموالاً تنفقها على الاعضآء ممن تمت فيهم الشروط وهم لا يكلفون في مقابلة ذلك الا عملاً طفيفاً لا يعوقهم عن اعمالهم الاخرى . وان مؤسس هذه الجمعية مثرٍ اميركاني يقال لهُ حزقيال هو بكنس كان اشقر الشعر فمال الى ذوي الشعر الاشقر ولما توفاهُ الله وجدوا في وصيتهِ الاخيرة رغبتهُ في تأليف جمعية لهذا الصنف من البشر وقد عين لكل عضو اجرة يتقضاها كل اسبوع على عمل زهيد لا يكاد يذكر . ثم نظر اليَّ

سبولدن وقال يا مستر ولسن ان لون شعرك هو اللون المطلوب ولا ارى ما يمنعك من تقديم نفسك اذا شئت ان تضيف الى دخلك ما يزيد على مئتي ليرة في السنة. ولما سمعت منهُ ذلك مع ما انا فيهِ من تأخر اشغالي اهتممت للامر فامرتهُ ان يقفل الادارة وان يذهب معي الى المحل المذكور عنوانهُ لاقدم نفسي في جملة الطالبين. ولما بلغنا المحل رأيت جمًّا غفيراً من ذوي الشعر الاشقر وقد جآءوا جميعهم لتقديم انفسهم مثلي فضعف املي في الفوز بين هذا الجمهور غير ان خادمي سبولدن اكد لي ان لون شعري الاحمر اللامع هو المطلوب وان ليس في رؤوس جميع المتقدمين ما يشابههُ . ولم يكفهِ ان يقنعني بذلك بل جعل يفتح لي طريقاً في خلال ذلك الزحام حتى اوصلني الى سلم الادارة نفسها فرأينا كثيرين من الخارجين المرفوضين وغيرهم من الداخلين على الامل حتى جآءت نوبتنا فدخلنا الى الادارة . ولم اجد في الغرفة التي دخلناها سوى كرسيين خشبيين ومائدة ورآءها رجل شعرهُ اشدّ حمرةً من شعري كان يكلم الطالبين ومتى رأى فيهم عدم الاهلية يصرفهم . فلما جآءت نوبتي اظهر الرجل اهتماماً بي اكثر من سواي واقفل باب الغرفة بعد دخولي ولم اكد اجلس امامهُ حتى قال لهُ خادمي قد احضرت لك المستر ولسن طالباً تعيينهُ في المحل الفارغ في جمعيتكم . فقال الرجل اهلاً بهِ فانهُ يطابق مطلوبنا تمام المطابقة . ثم تقدم اليَّ ففحص شعري ولما انتهى اخذ يدي فغمزها بين راحتيهِ بمنتهى السرور وقال انني اهنئك ايها القادم الجديد بفوزك العظيم وارجو ان تعذرني اذا امتحنتك هكذا . ولما قال هذا امسك بشعري وجذبهُ بعنفٍ حتى صرخت متألماً . فقال قد خدعنا غيرك بشعر استعاري فاضطررت ان افعل هذا لاتحقق ان شعرك طبيعي . ثم توجه الى النافذة وصاح بصوتٍ عال انهُ قد وجد المطلوب ولم تبقَ لهُ حاجة في الطالبين فاخذ الحاضرون في الانصراف ومنهم من يشتم ومنهم من يتهدد . ولما خلونا في المكان قال لي هل انت متزوج يا مستر ولسن وهل لك عيال . قلت لا . فقال ان هذا الامر يضاد قوانيننا لان مؤسس الجمعية لا يقتصر غرضهُ على مساعدة ذوي الشعر الاحمر بل يودّ ان يكثر نسلهم فعزو بيتك تقف

مانعاً بازآء هذا القانون . ولما سمعت منهُ ذلك حزنت كثيراً وخشيت ان افقد المنصب ولكنهُ ما عتم ان قال بما انهُ من الصعب ان نجد اللون المطلوب في غير شعرك فيجب ان نقبلك ففي اي وقت يمكنك الدخول في العمل . قلت عليَّ اشغالٌ قليلة اود ان اقضيها اولاً . فقال خادمي سبولدن لا يهمك ذلك يا مستر ولسن فانني اعاهدك على ان اقوم بها كما تحب . قلت حسنٌ فما هي ساعات العمل في الجمعية . فقال الرجل من العاشرة صباحاً الى الثانية بعد الظهر

ولما كان شغلي الخاص معظمهُ في المسآء لم اجد بأساً بشغل الجمعية ولا سيما مع اتكالي على خادمي فاجبت بالقبول وسألت عن الاجرة فقال اربع ليرات في الاسبوع . قلت وما هو العمل . قال عمل اسميّ فقط فينبغي ان تقضي الاربع ساعات المذكورة في الادارة بدون عمل ولكن لا يمكنك ان تخرج منها واذا خرجت فقدت مركزك الى الابد ولا يؤذن لك في الخروج قبل انتهآء الوقت المذكور مهما كانت الحالة . ويُطلب منك في هذه المدة ان تأخذ ورقاً وقلماً وتنسخ الجزء الاول من موسوعات العلوم الانكليزية . واذ قد تمّ الاتفاق بيننا على ما ذكر فاني اهنئك ثانيةً لحصولك على هذا المركز واستودعك الله الى الغد حين يبتدئ عملك هنا . ولما قال هذا حنى رأسهُ اشارةً الى انتهآء المواجهة فخرجت مع خادمي سبولدن وانا لا اعلم ماذا اقول او افتكر وقد سرَّني جدًّا ان احصل على مثل ذلك الدخل بدون تعب البتة

ولما عدت الى منزلي جعلت افكر فيما جرى فاشتغل بالي وظننت انهُ لا بد ان يكون في الامر سرٌّ لم ادرك كنههُ لانهُ لم يخطر لي وجود رجل يوصي بمالهِ على هذه الطريقة الغريبة وينفق ملايينهُ على رجال شعرهم اشقر ولا يطلب منهم عملاً سوى نسخ بعض مجلدات من كتب مطبوعة . ورأى خادمي سبولدن قلقي فجعل يسهل عليّ الامر ويسليني حتى اقتنعت وصممت ان اجرب . ولما اصبحت ابتعت حبراً وقلماً وشيئاً من الورق وتوجهت الى محل ادارة الجمعية فوجدت كل شيء في منتهى الدقة والترتيب وقد احضروا لي المائدة التي اكتب عليها وكان

المدير الذي قابلتهُ بالامس جالساً ينتظرني لابدأ بالعمل ولما شرعت في الكتابة تركني ولكنهُ كان يأتي من حين الى آخر يزورني ويراقب كتابتي . فلما بلغت الساعة الثانية اثنى على نشاطي وصرفني واقفل باب الادارة ورآئي . وبقيت على مثل ذلك الى يوم السبت فلما صرفني نقدني اربع ليرات وكان كذلك في الاسبوع الثاني والثالث . وكان في بدآءة العمل يأتي المدير مراراً يراقب شغلي فلما مرَّت عليَّ الايام وتحقق امانتي لم يعد يزورني الا مرة واحدة كل يوم . ومع كل ذلك لم اجسر قط ان اتغيب عن الوقت المفروض خوفاً من فقد هذا المركز الذي وجدت فيهِ الربح مع الراحة ومرَّت عليَّ ثمانية اسابيع وانا اكدّ واجتهد حتى كدت افرغ من نسخ المجلد الاول والثاني . فلما ذهبت صباح اليوم كعادتي وجدت باب الادارة مقفلاً على خلاف العادة وعليهِ رقعة مكتوب عليها هذه الكلمات . « ان جمعية ذوي الشعر الاشقر قد انحلت بتاريخ ٩ اكتوبر سنة ١٨٩٠ » فاستغربت جدًّا هذا الامر على غير سابق تنبيه وحرت في امري فنزعت البطاقة المذكورة ووضعتها في جيبي وجعلت اطوف حول الادارة فلم ارَ باباً مفتوحاً ولا نافذة فسألت الجيران فلم يعلم احدهم شيئاً عن الجمعية . وتوجهت اخيراً الى صاحب البنآء وسألتهُ ماذا يعلم عن هذه الجمعية فقال انهُ لم يسمع بوجودها قط . قلت لهُ أوَلا تعرف المستر روس وهو المدير . قال لعلك تعني الرجل الاشقر الشعر الذي كان يسكن في رقم ٤ واسمهُ المستر وليم موريس . قلت نعم . قال هذا محامٍ استأجر غرفة في منزلي لمدة قصيرة وقد تركها امس مسآءً . قلت وهل تعلم اين يمكن ان اجدهُ . قال في ادارتهِ الجديدة فقد سمعتهُ يقول انهُ سيسكن في رقم ١٧ من شارع الملك ادورد . فتوجهت للحال الى المحل المذكور وبعد البحث الدقيق لم اعثر على احد يعلم شيئاً عن وليم موريس ولا عن المستر روس . فعدت الى منزلي واخبرت خادمي سبولدن بما كان فاشار عليَّ ان انتظر لعلّ المدير يكتب اليَّ شيئاً مع البريد غير ان هذا لم يرحني وقد عزَّ عليَّ ان اخسر مركزاً كهذا بسهولة وكنت قد سمعت عنك يا مستر شرلوك هولمز انك لا تضن بالنصيحة فجئتك مستشيراً علك تعلمني ماذا يجب ان افعل

فقال شرلوك قد احسنت يا هذا في مجيئك اليّ لانني اعتقد ان في الامر اكثر مما ظهر فيهِ من البساطة ولذلك اسمح لي ان اسألك بعض الاسئلة التي ربما تساعدني في تخميني . فهل لك ان تخبرني كم كان لخادمك عندك من الزمن حين احضر اليك الاعلان . قال كان عندي من شهر قبل ذلك . فقال شرلوك وكيف وصل اليك . قال اعلنت عن حاجتي الى مستخدم فجآءني مع كثيرين غيرهِ وانتخبتهُ لما رأيت فيهِ من الذكآء وعدم الطمع في الاجرة . فقال شرلوك وهل لك ان تصفهُ لي . قال هو قويّ البنية متين العضلات سريع الحركة حليق الوجه لهُ على جبهتهِ علامة بيضآء . فلما سمع شرلوك ذلك نهض عن كرسيهِ مضطرباً وقال قد ظننت ذلك ولكن هل لاحظت ان في اذنيهِ ثقوباً . قال نعم وقد قال لي انهُ من صغرهِ ثقبتهما لهُ والدتهُ لتلبسهُ فيهما اقراطاً . فتبسم شرلوك وقال أولا يزال في خدمتك حتى الآن وهل كان لا يزال قائماً بعملهِ كما تريد . فقال انهُ باقٍ في خدمتي ولا اشكو قصوراً في عملهِ لان اكثر ما يكون العمل عندنا في المسآء وانا دائماً اكون في محلي في ذلك الوقت . فقال شرلوك كفى فقد اخذت ما تهمني معرفتهُ وارجح انني سأتمكن من افادتك شيئاً قبل يومين

ولما انصرف الزائر قال لي شرلوك ما رأيك يا وطسن في هذه الحادثة . قلت انني اصرح لك بانني لم اتمكن من ادراك شيء سوى انها احدى الغرائب السرية ولكن قل لي ماذا عزمت ان تفعل. فتبسم شرلوك كعادتهِ وقال اما الآن فلا شيء اهم من التدخين والتأمل. ولما قال هذا عاد الى كرسيهِ واشعل غليونهُ وصمت نحو نصف ساعة حتى ظننتهُ قد نام وكاد يأخذني النعاس واذا بهِ قد وثب فجأةً وقال احبّ ان نذهب لحضور التمثيل في ملعب سانت جامس فهل ترافقني يا وطسن . قلت لا يمنعني شيء من ذلك فهلمّ بنا . قال حسنٌ فخذ قبعتك وتعالَ وسنمرّ في بعض الشوارع اولاً فنتناول شيئاً من الطعام في طريقنا وقد علمت انهُ يوجد في اثنآء التمثيل موسيقى المانية فاودُّ سماعها لاني افضلها على الموسيقى الفرنسوية والايطالية. فخرجنا معاً وما زال شرلوك يسير وانا اتبعهُ من شارع الى اخر حتى بلغنا منزلاً قد

كتب عليهِ اسم ضيفنا في الصباح المستر ولسن فوقف شرلوك امامهُ وجعل يميل رأسهُ يميناً وشمالاً وهو يتفحص البنآء بنظرهِ الحاد ثم عاد بي الى زاوية الشارع وهو يلاحظ الابنية والمنازل المجاورة . ثم عاد ثانية الى المنزل المذكور ولما اقترب منهُ ضرب بعصاهُ مراراً على الارض ثم تقدم الى الباب فقرعهُ والحال فتح لنا فتى حليق الوجه بهي الطلعة ودعانا الى الدخول . فقال شرلوك نشكرك يا سيدي ولكن ارجو ان تدلنا على الطريق المؤدية الى شارع استراند . فقال الفتى خذ الشارع الثالث الى اليمين ثم الرابع الى الشمال ولما قال هذا دخل واقفل الباب . فقال شرلوك ان هذا هو خادم المستر ولسن وقد عرفتهُ قبل الآن فهو نشيط وحاذق لا يكاد يوجد من يضاهيهِ في لندن . فقلت لعلك جعلت سؤالك عن شارع استراند حجة لترى هذا الفتى . فقال شرلوك لا فاني لم اقصد ان ارى الشخص بل ثوبهُ عند ركبتيهِ . قلت وماذا وجدت قال ما كنت ارجوهُ . قلت ولماذا ضربت بعصاك الارض . قال ان الوقت وقت ملاحظة لا وقت ايضاح ايها العزيز وطسن فتعالَ معي لفحص الطرق التي ورآء هذه . ولما قال هذا قادني من طريق اخرى الى ورآء المنزل المذكور فبلغنا شارعاً كثير الحركة والزحام من اهم الشوارع التجارية فوقف شرلوك عند زاويتهِ وجعل يلاحظ ويميل بنظرهِ من جهة الى اخرى ثم قال قد فرغنا من عملنا فهلمَّ بنا يا وطسن نتناول شيئاً من الطعام ونسرع الى دار التمثيل لسماع الموسيقى فانها تبدد عنا هموم ذوي الشعر الاشقر

ولم نزل نجد السير حتى بلغنا الملهى فدخلناهُ وكان شرلوك ميالاً الى الموسيقى كثيراً فرايتهُ قد نسي كل شيء واصاخ بسمعهِ للعزف بل كان يرافق حركات اللاعبين بنقر اصابعهِ كانهُ انتقل من حالتهِ الاولى تماماً حتى ظننتهُ قد نسي كل ما يختص بامر المستر ولسن . ولما خرجنا بعد انتهآء التمثيل قال لي انك ذاهب الى منزلك يا وطسن على ما اظن . قلت نعم اذا لم تكن فائدة من بقآئي معك . قال اما انا فلديَّ شغل ذو بال لا بد من اتمامهِ فان حديث صاحبنا اليوم في غاية الاهمية . قلت وما هي اهميتهُ قال انهُ جرماً فظيعاً يدبَّر من مدة واظن اننا نتمكن من تداركهِ في الوقت الملائم وبما ان اليوم السبت فالارجح انهُ سريع الوقوع ولذلك ارجو مساعدتك هذه الليلة عند

الساعة العاشرة . قلت حبًّا وكرامة فسأوافيك في غرفتك عند الساعة العاشرة . قال اجل ولا يبعد ان يكون في الامر بعض الخطر فيحسن ان تحضر معك مسدسك الشهير . ولما قال هـذا تركني واختفى بغتة . فتوجهت الى منزلي وانا اعنف نفسي واعجب من أعمال شرلوك . اما تعنيفي لنفسي فلأني سمعت ما سمعهُ ورأيت ما رآهُ فلماذا لم افهم شيئاً من كل ذلك بينا اراهُ كانهُ قدفهم المقصود وما يجري والغاية التي ستتم . وجعلت اراجع كل ما جرى امامي في ذلك اليوم لعلي اهتدي الى ما ينوي شرلوك ان يفعلهُ فلم يُفتح عليَّ بشيء ولما يئست من حل هذا المعمى صرفت الامر من فكري . و بلغت البيت فاسترحت الى الساعة التاسعة ثم سرت على قدميَّ الى ان بلغت منزل شرلوك فرأيت امام بابهِ مركبتين ولما صعدت السلم سمعت كلاماً فدخلت فرأيت شرلوك ومعهُ رجلان احدهما عرفتهُ للحال انهُ بعض رجال الشحنة واسمهُ جونسن اما الثاني فكان وجههُ مستطيلاً رقيقاً تلوح عليهِ امارات الحزن والكآبة . فلما رآني شرلوك قال قد كمل عددنا فهيا بنا . ثم نظر اليَّ وقال ان صديقيَّ هذين هما المستر جونسن مفتش الشحنة ولا بد ان تكون عرفتهُ اما الاخر فهو المستر مريوذر رفيقنا في سياحتنا هذه الليلة . فقال الغريب وعسى ان لا تكون هذه السياحة عقيمة من الفائدة . فنظر اليهِ مفتش الشحنة وقال ان من كان دليلهُ شرلوك هولمز لا يخشى الاخفاق . فقال شرلوك لا يهمني اعتقادكم بي ولكنني اوكد لك يا مولاي مريوذر انك ستربح في هذه الليلة لا اقل من ثلاثين الف ليرة واما انت يا جونسن فستلقي القبض على شرّير طالما تمنيت ان يكون في يدك . فقال المفتش لا شك ان الشرّير جون كلاي القاتل واللص والمزور والمزيف يستحق ان انال فخر القبض عليهِ واضع هذا القيد الحديدي في معصميهِ اكثر من القآء القبض على كل لصوص لندن . والغريب فيهِ انهُ حفيد دوق من الاسرة الملكية وقد تربى في كليتي ايتون واكسفورد واغرب منهُ انهُ يسرق مصرفاً اليوم في شمالي انكلترا يبني بهِ غداً مستشفى في جنوبيها وقد قضيت عدة سنوات في تأثرهِ فلم اظفر بهِ حتى الآن

فقال شرلوك وانا ايضاً قد تتبعتهُ من مدة وجيزة ولكنني واثق انني سأعرفكم

بهِ هذه الليلة وقد ازفت الساعة العاشرة فيجب ان لا نضيع الوقت . ولما قال هذا امر جونسن ومريوذر ان يدخلا المركبة الاولى واصعدني معهُ الى الثانية وسرنا سيراً حثيثاً كان شرلوك في اثنآئهِ ساكتاً حتى قاربنا شارع فارندون فقال لي اعلم يا وطسن ان رفيقنا مريوذر مدير مصرفٍ عظيم ويهمهُ امرنا في الغاية وقد استحسنت ان يرافقنا جونسن لانهُ اولاً شجاع جسور وتانياً اذا امسك بفريستهِ فانهُ يلصق بها فلا تجد الى الفرار منه سبيلاً

وكنا قد بلغنا الشارع المزدحم الذي زرناهُ في النهار فترجلنا وصرفنا المركبتين وسار امامنا مريوذر الى بابٍ صغير فتحهُ فاوصلنا من منعطفٍ ضيّق الى باب حديدي فتحهُ ايضاً وسرنا في سلم طويل الى باب آخر ومنهُ الى دهليزٍ مظلم تنبعث منهُ رائحة الارض وفي منتهاهُ بابٌ آخر اجتزناهُ فوصلنا الى قبوٍ فسيح كبير جدًّا يكاد يمتلئ بالصناديق الكبيرة . واراد مريوذر ان يتكلم فمنعهُ شرلوك قائلاً انك تفسد علينا كل عملنا يا هذا فارجو منك الصمت التام وان تجلس بدون حركة ورآء احد هذه الصناديق . فسكت الرجل خجلاً وانار شرلوك شمعة وانحنى على ركبتيهِ يفحص ارض القبو المذكور وبعد قليل نهض وعلى وجههِ علامات الاستبشار فقال لا يزال لنا فرصة ساعة لانهم لا يمكن ان يبدأوا بالعمل قبل ان ينام صاحبنا ولسن في منزلهِ واذ ذاك فلايضيعون دقيقة واحدة لانهم كلما اسرعوا كانت نجاتهم اسهل . ولا يغرب عن بالكم اننا في قبو احد المصارف المهمة وان المستر مريوذر مدير هذا المصرف وهو يوضح لكم الاسباب التي تغري اعظم لصوص لندن على زيارة هذا القبو في الوقت الحاضر . فقال المدير هامساً نعم اننا لتوسيع اعمالنا قد استدنّا من بنك فرنسا ثلاثين الف ليرة وقد شاع هذا الامر وعُرف ايضاً اننا حتى الآن لم نتصرف في هذه المبالغ وانها لا تزال في صناديقها ضمن جدران هذا القبو وفي هذه الصناديق التي حولنا

وكان شرلوك يجيل نظرهُ في الغرفة وفينا فقال اما الآن فيجب ان نستعد للعمل واول ما يجب عملهُ ان نطفئ هذا النور بعد ان نعين الامكنة التي يجب ان

نجلس فيها لان لصوص الليلة من الطبقة الاولى فاذا لم نتخذ امنع الطرق فقد نعرّض انفسنا للخطر . اما انا فسأقف ورآء هذا الصندوق وانتم فقفوا ورآء هذه بجانبي ومتى اوقدت النور فاطبقوا عليهم مرة واحدة واذا اطلقوا النار فعليك يا وطسن ان تجاوبهم بالمثل . ولما سمعت ذلك اخذت مسدسي فاعددتهُ على ذراعي وكمنت ورآء صندوق كبير ثم اطفأ شرلوك مصباحهُ وتركنا في الظلمة الحالكة . ثم قال شرلوك اذا نجوا منا فليس لهم الا مفر واحد من شارع ساكس كوبورغ فهل فعلت ياجونسن كما قلت لك . قال نعم وقد اقمت احد مساعديَّ وعدداً من رجال الشرطة بالاوامر اللازمة . فقال شرلوك اذن قد اتممنا كل شيء ولم يبقَ علينا سوى الصمت والانتظار

ولبثنا في تلك الظلمة الحالكة صامتين يسمع الواحد منا تنفس الآخر فمرَّت علينا ساعة و بضع دقائق ولا تسل عن تصوراتنا وشعورنا في ذلك الموقف حتى كدت اضجر والوم شرلوك . واذا بنورٍ ضعيف اصفر قد ظهر من الارض ثم امتدّ حتى صار خطًّا واضحاً ثم فتحت ثغرةٌ في ارض القبو بسرعة غريبة وظهرت منها يدٌ بيضآء اشبه بايدي السيدات النحيفات فجعلت تتلمس حول الثغرة التي خرجت منها ثم اختفت وغاب النور . ولم يكن الا دقيقتان حتى ظهر النور ثانيةً ورأينا بلاطة كبيرة من ارض القبو قد دارت على جانبها ثم ظهر من تحتها فتى في مقتبل الشباب فجذب نفسهُ الى الاعلى ثم دار ومد يدهُ فرفع رفيقاً لهُ وهو فتى نظيرهُ غير انهُ اشقر الشعر . فقال الاول ان كل شيء على ما نريد فهل احضرت معك الازميل والاكياس و . . . اسرع اسرع يا أرشر وانجُ بنفسك . . . . . وكان في تلك اللحظة قد انار شرلوك مصباحهُ ووثب الى القادم فامسكهُ من عنقهِ اما الثاني فقفز الى الثغرة وكان جونسن قد امسك بثوبهِ فانمزق . ورأى شرلوك بيد اسيرهِ مسدساً فضربهُ بسوطهِ على قبضة يدهِ فسقط منهُ وقال لهُ لا تحاول الهرب يا جون كلاي فقد قضي الامر . فاجاب الفتى بمنتهى البرودة نعم يظهر ان الامر كذلك ولكن ارجو ان يكون رفيقي قد نجا فاني ارى طرف ثوبهِ في ايديكم . فقال شرلوك

بل لن ينجو لانهُ سيقع في ايدي الشرطة الذين اقمناهم في انتظارهِ • قال يظهر انكم كنتم امهر تدبيراً مني هذه المرة • قال شرلوك مهما فعلنا فانهُ لا يقابل ما اخترعتهُ من تأليف جمعية ذوي الشعر الاحمر • وكان جونسن قد تقدم الى الاسير فوضع الحديد في معصميهِ فنظر اليهِ شزراً وقال هل نسيت يا هذا ان في عروقي دماً ملكيًّا وانك اذا خاطبتني فعليك ان تقول ارغب اليك و يامولاي • فتبسم جونسن وقال نعم فاذاً هل يحسن لديكم يا مولاي ان تسيروا معنا الى حيث نحضر عربة تقل سموكم الى دار الشحنة • فحنى جون كلاي رأسهُ علامة الايجاب وسار امامنا ونحن نتبعهُ • فقال مريوذر مخاطباً شرلوك انني لا اعلم ايهـا العزيز كيف يستطيع المصرف ان يكافئك على عملك هذا فانك بمهارتك قد انقذت مصرفنا من الخراب ووقفت سدًّا امام اعظم اعمال اللصوصية التي جرت في مثل هذه الاحوال • فقال شرلوك انهُ كان عليَّ واجبٌ اقضيهِ للمستر جون كلاي ولجمعية ذوي الشعر الاحمر وقد قمت بهِ الليلة فحسبي هذا مكافأةً لصنيعي على ان الامر قد اقتضى بعض النفقات وهذه لا اشك في ان المصرف سيدفعها اليَّ

والقت الشحنة القبض على رفيق جون كلاي وهو مدير الجمعية كما عرفهُ القرآء فاستاقوهُ ورفيقهُ بعناية جونسن الى دار الشحنة . ولما انقضى ذلك كلهُ رجع شرلوك الى المنزل ورجعت معهُ ولما كان الصباح جلست واياهُ فجعل يقص عليَّ ما توصل اليهِ في حادثة الامس فقال . اعلم يا وطسن انهُ لا يُعقل ان تطلب الجمعية اعضآءً لمجرد نسخ الكتب المطبوعة ولم يكن ذلك الا لاخذ التاجر ولسن من منزلهِ ساعاتٍ معلومة في كل يوم . اما كيفية تدبير ذلك تحت اسم جمعية الشعر الاحمر فمن مخترعات جون كلاي لاحمرار شعر رفيقهِ . اما اجرة الاربع ليرات في كل اسبوع فلم تكن الاّ لتغرّ ولسن وما عسى ان تكون هذه القيمة بازآء الوف الليرات التي يضمرون الحصول عليها . وقد نشروا الاعلان في الجريدة فذهب احدهم متزيياً بزي مدير الجمعية وذهب الآخر فخـدم عند ولسن ليغريهُ بالانضمام اليها كما حصل و بذلك ضمن الاثنان غيابهُ اليومي في اثنآء عملهما . ولو كان في بيت ولسن امرأةٌ لذهب

فكري الى ان الامر حيلة نسآئية بسيطة غير ان عدم وجود امرأة في بيتهِ مع ما هو فيهِ من الحاجة اكد لي ان في الامر اهم مما اظن . ومن بحثي عن حالة وتصرفات خادم ولسن علمت انهُ اعظم لصٍّ في لندن وان لهُ غرضاً يجريهِ في نفس بيت سيدهِ فما هو . واذ ذاك لم يتبادر الى ذهني الاَّ انهُ يقوم بفتح نفقٍ يتصل من ذلك المنزل بمكانٍ آخر . ولما ذهبت واياك لزيارة المنزل ورأيتني اضرب بعصاي على الارض كنت افحص هل يمتدّ النفق الى امام البيت او الى ورآئهِ فوجدت انهُ لا يمتد الى الامام . ولما قرعت الباب وفتح لي جون كلاي بصفة الخادم لم انظر الى وجههِ بل نظرت الى ركبتيهِ فوجدت عليهما آثار ركوعهِ وقت العمل في الحفر . ثم انتقلت الى ورآء المنزل وجعلت افحص المحلات الممكن الوصول اليها حتى وقعت عيني على المصرف فتحققت انني قد حللت اللغز . ولما ذهبت انت الى منزلك بعد التمثيل توجهت انا الى ادارة الشحنة ثم الى مدير المصرف المذكور فاتممنا الاستعداد للامر على ما عرفتهُ

فقلت ولكن من اعلمك انهم سيقومون بعملهم في هذه الليلة . قال ان انحلال ادارة جمعيتهم دلني على انهم لم يعودوا يخشون وجود المستر ولسن في منزلهِ اي انهم قد اكملوا النفق الذي حفروهُ وعلمت انهُ لا بد لهم من اتمام غايتهم بسرعة قبل ان ينكشف الامر وقدّرت ان مسآء السبت اكثر موافقةً لهم من غيرهِ لانهُ يسهل لهم الهرب قبل ان يُعلم الامر اذ يكون المصرف مقفلاً يوم الاحد فلا يدري احدٌ ماذا جرى فيهِ

فلم اتمالك ان رفعت يديَّ وقلت لله درك يا شرلوك فانك لست من اعاجيب خلق الله فقط ولكنك محسن الى بني الانسان ايضاً . فهز كتفيهِ وقال قد تفيد بهذا القول غيري اما انا فأقول كما قال غستاف فلوبر في كتابهِ الى جورج ساند « ان الانسان ليس بشيء واما عملهُ فهو كل شيء »